ترجيز الأطفال في مرحلتي الصراخ والتقليد اللغوي

د.أسامة محمد جمعة (*)

مقدمة:

الأولاد هم قرة الأعين وثمار القلوب ، وهم زينة الحياة الدنيا ، وقد كان رسول الله ﷺ يقول: " ريح الولد من ريح الجنة "[1]، وقد أوصى رسول الله ﷺ الآباء والأمهات بملاعبتهم ومداعبتهم والحنو عليهم، وقال ﷺ: " من كان له صبي فليتصابى له "[2].

وفي ضوء ذلك كان لزاماً علينا أن نُولي هذا التراث العربي والإسلامي اهتماماً كبيراً ، حتى نتصيد منه الأدعوبات[3] والترنيمات ، والترقيصات ، والأهازيج أو الأراجيز بمسمياتها المختلفة والتي كان يلاعب بها السلف الصالح والآباء البررة في الجاهلية والإسلام أبناءهم ، لنقدمها للآباء و الأمهات اليوم أو ليكون بمقدورهم الاطلاع عليها، ونقول لهم هاؤم اقرؤوا أراجيز آبائكم وأمهاتكم البررة ، حتى نلفت انتباه الآباء بأهمية الترجيز ودوره في العملية التربوية باعتباره من الأدب المقروء الذي يقدم للطفل في مرحلتي الرضاعة والتقليد اللغوي ، وفوائده التي يتناولها هذا البحث بالدراسة.

(*) أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة .

(1) علاء الدين علي بن حسام الدين(كنز العمال) ، تحقيق: بكري حياتي وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط 5، 1981م ، ج 16 ، ص 274.

(2) محمد بن عبد الرؤوف المناوي (فيض القدير في شرح الجامع الصغير) ، دار الكتب العلمية ، بيروت: لبنان ، ط1 ، 1994م ، ج 6 ، ص 271.

(3) الأدعوبات: جمع أدعوبة ، والاسم الدعابة ، والمداعبة هي الممازحة ، والدعابة: المزاح.

أهداف البحث:

- يهدف الباحث إلى رواية هذا التراث وإشاعته وحفظه من الزوال ، وشرح ما يحتاج منه إلى شرح وربطه بتربية الأطفال ما أمكن.
- ويهدف الباحث إلى أن يدلو بدلوه في منتدى الأدب الإسلامي ويمد المكتبة الإسلامية بهذا النوع من البحوث التي قلت الكتابة فيه.

حدود البحث:

لقد حدد الباحث مرحلتي الصراخ[1] والتقليد اللغوي [2] لأن أشدّ حاجة للترجيز في هذه المرحلة ؛ بل إن ترجيز الأطفال يتناسب مع هذه المرحلة من حيث سماته ، وأغراضه ، وأهداف المرجزين ، بالإضافة إلى أنَّ نماذج الرجز التي توافرت للباحث كلها قيلت للطفل في هذه المرحلة.

---

(1) وتبدأ هذه المرحلة بصرخة الميلاد التي تعتبر الإشارة الأولى لجاهزية أعضاء النطق واستعدادها للقيام بوظيفتها بمجرد الميلاد ، وهي من ناحية أخرى استجابة طبعيه للظرف الجديد "التنفس خارج الرحم" ، وتمتد مرحلة الصراخ حتى الشهر الثامن أو التاسع.

(2) التقليد اللغوي: هو نوع من أنواع السلوك يقوم به الطفل بهدف الوصول إلى الاستقرار اللغوي، فإذا نظرنا إليه باعتباره فطرياً في الإنسان فليس يصدق ذلك إلاّ بالنسبة لجذوره فحسب، والقدرة التي تصادفها عند الطفل في أشهره الأولى على تقليد اللغة فجة جداً أمّا التقليد نفسه فهو فن يكتسب واكتسابه محددٌ اجتماعياً فالكبار حول الطفل هم الذين يشجعونه دائماً على تقليدهم ويبدون الاستحسان حين ينجح ويصححونه إذا أخطأ. وتبدأ هذه المرحلة عند العاديين من الأطفال في أواخر السنة الأولي وأوائل الثانية وتنتهي في الخامسة أو السادسة أو السابعة، أما غير العاديين فقد لا تبدأ لديهم إلا في أواخر الثانية وأوائل الثالثة ويتأخر تبعاً لذلك موعد انتهائها وعند بعض الشواذ من الأطفال لا تبدأ إلا في حالات نادرة في فترة مبكرة جداً .

وتتوقف عملية التقليد اللغوي على عدة عوامل:

1. قدرة حاسة السمع عنده وحدتها فإذا لم يسمع الطفل الأصوات أو سمعها خطأ فإنه لا يستطيع إنتاجها أو ينتجها خطأ.
2. قدرته على استبقاء الصورة السمعية لما أدركه فلا يكتفي أن يستمع الكلام سماعاً جيداً بل لا بد من استبقاءه في ذهنه بصورته المسموعة.
3. القدرة العضوية لجهاز النطق على إصدار ما سمعه بصورة شبيهة أو قريبة منه ، لذلك أي خلل في جهاز النطق أو ضعف فيه يعطل من صحة الإخراج الصوتي أو التقليد اللغوي.
4. فهم المعني لأن فهم معني المفردة يرتبط بنطقها.
5. الإدراك البصري لوجه المتكلم وحركات الفم والأسنان.

بينما في مرحلة الاستقرار اللغوي فإن الطفل يحتاج فيها إلى الأهازيج أكثر من حاجته إلى الأراجيز.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يتخذ الباحث منهجاً تأريخياً وصفياً تحليلياً ، يؤرخ لترجيز الأطفال عند العرب، يقوم الباحث بجمع أشعار الترجيز من مصادرها المحققة، ثم يقسمه إلى أنواع وأغراض مع مراعاة المنهج التأريخي في ترتيب الأشعار والمنهج الوصفي التحليلي في دراستها ، ثم يبيّن الباحث أهم سمات ترجيز الأطفال وفوائد.

هيكل البحث:

لقد جعل الباحث الدراسة في أربعة مباحث خصص المبحث الأول للحديث عن (مفهوم الرَّجز والترجيز للطفل) ، أما المبحث الثاني فجعله عن (أنواع أراجيز الأطفال)، حيث أورد فيه أراجيز الآباء والإخوان ، ثم أراجيز الأمهات ، وخصص المبحث الثالث لدراسة (أغراض ترجيز الأطفال) ، وذكر فيه الدعاء للطفل ، ونصح الطفل وإرشاده والتعبير عن حبه.

أما المبحث الرابع فتناول فيه (فوائد ترجيز الأطفال وسماته) ، وقد ذيل الباحث بحثه بخاتمة تشمل نتائج البحث وتوصياته ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

المبحث الأول
مفهوم الرجز والترجيز

أولاً: مفهوم الرجز:

الرجز بحرٌ معروف من بحور الشَّعر ، وتسمى قصائده الأراجيز ، واحدتها أرجوزة، والأرجوزة غير القصيدة لأن القصيدة يكون البيت فيها مكوناً من مصراعين، بينما لا يشترط ذلك في الأرجوزة ، ويسمى ناظم الرجز راجزاً وأما قائل

القصيدة فيسمى شاعراً . قال الشاعر[1]:

أرَجـــــزاً

تريد أم قصيدا

لقد سألت هيّنا موجودا

والرجز أصلٌ يدل على اضطراب ، وهو داءٌ يصيب الإبل في أعجازها[2]، فإذا ثارت الناقة ارتعش فخذاها ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر.

وورد في كتب اللغة رَجز يرجُز رجزاً ، وارتجز ارتجازاً ، ورجَز به، ورجَّزه ترجيزاً إذا أنشده أرجوزة ، ويرتجزون يتعاطون الرجز[3].

وضابط البحر:

مُســـــتفعلُن مُســـــتفعلُن مُســـــتفعلُن فـــي أبحُـــر الأرجـــاز بحـــرٌ يســـهُلُ

واختلف في تسمية هذا البحر بهذا الاسم ، فقيل لاضطرابه وهو مأخوذ من الناقة التي يرتعش فخذاها وسبب جواز حذف حرفين من كل تفعيلة من تفعيلاته ، كثر إصابته بالزحافات والعلل ، فهو أكثر البحور تقبلاً لها فلا يبقى على حال واحدة.

وقيل سميَّ بذلك لتقارب أجزائه وقله حروفه ، وقيل: لأن الشائع منه المشطور ذو الثلاثة أجزاء فهو شبيه بالراجز من الإبل وهو ما شد إحدى يديه وبقيَ قائماً على ثلاثة قوائم.

وتفعيلته تقوم على تكرار مقاطع متساوية ، وهذا التكرار المتماثل من شأنه أن يكون جواً موسيقياً متناسقاً.

وأهم زحافات هذا البحر وعلله الخبن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الفرق، وللرجز خمسة أنواع وهي على النحو التالي:

1ـ النوع الأول: السالم.

2ـالنوع الثاني: سالم العروض ، مقطوع الضرب.

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني (الأغاني) ، تحقيق: سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، ط 2 ، ج 10، ص 26.

(2) ابن منظور: محمد بن مكرم (لسان العرب) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، ج 4 ، ص 248.

(3) ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل(المحكم والمحيط الأعظم) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م ، ج 7 ، ص 291.

3ـالنوع الثالث: مجزوء العروض والضرب.
4ـالنوع الرابع: مشطور.
5ـالنوع الخامس: منهوك.

ويعد الرجز من أعظم البحور الشعرية فائدة للمجتمع فقد استخدم في تيسير العلوم، والسباق والتدريب ، والرحلة والسفر ، وتخفيف عناء العمل ، والحرب والجهاد، والدعوة إلى سبيل الله.

ثانياً: تعدد مصطلحات الترجيز:

الترجيز كلمة مشتقة من الرجز، وهو الغناء بالأشعار الجارية على بحر الرجز، ويصحبه الرَّقص، ويقال رجزَّت المرأة ولدَها إذ غنت له ورقصته. وذلك بتحريكه بعض الحركات للتعبير عن شعور أو معانٍ معينة.

واستخدمت عُدَة مصطلحات للتعبير عن ترجيز الأطفال وهي كما يلي:

1ـ التزفين: وهو ضرب من الحركة مع صوت وقالوا هو شبيه بالرقص[1]، وفي حديث فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تزفن للحسن أي ترقصه ، وأصل الزفن اللعب والرَّفع ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها ، " وقدم وفد من الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون "[2] ، ومنه حديث عبد الله بن عمرو" إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ، ويبطل به اللعب والزَّفن والزَّمارات والمزاهر ، والكنارات "[3].

2ـ الزهزهة: وهي شدة الضحك واستخدمت لترقيص الطَّفل من قبل أمه بصفة عامة.

3ـ الزفزفة: حنين الريح وصوتها[4]، وهو أيضاً الإسراع في المشي مع مقاربة الخطو، واستخدم في أراجيز المشي.

4ـ النزنزة: وهي تحريك رأس الطفل ، ونزنزت الأمة صبيها رقَصته ، وللعوام استعمال آخر للنزنزة من قولهم: فلان لا يكف عن النزناز ، أي كثرة السؤال.

5ـ البأبأة: ترقيص المرأة لولدها لتضحكه.

6ـ الزفزفة: وهي صوت الطائر ، واستخدم هذا اللفظ للدلالة على ترقيص

(1) ابن منظور (لسان العرب) ، ج 13 ، ص 197.
(2) أبو السعادات المبارك بن محمد (نهاية في غريب الحديث) ، المكتبة العلمية ، بيروت، 1979م، ج 2، ص 756.
(3) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (شعب الإيمان) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1410هـ ، ج 4 ، ص 383.
(4) أبو القاسم علي بن جعفر (الأفعال) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 1 ، 1982م ، ص 2.

الطفل[1]، وهو أيضاً شدة الضحك كما ورد في بعض كتب اللغة.

7ـ التنقيز[2]**:** ونقزَّ الصبيَّ أُمُّه بالتشديد ، رقصته وقال ابن دريد: النقز انضمام القوائم في الوثب وهو أيضاً القفز إلى الأعلى.

ويتضح من ذلك أن الترجيز للطفل أخذ مصطلحات متعددة ، كلها تدور حول ترقيص الطفل على إيقاع من إيقاعات الغناء أو الشِّعر.

المبحث الثاني
أنواع الترجيز في مرحلة الطفولة

أولاً: أراجيز الآباء والإخوان:

أثبتت الدراسات أن الطِّفل الوليد يبدأ في التَّعلم منذ اللحظات الأولى التي يفتح فيها عينه على الحياة، " فالرُّؤية والاستماع للأصوات والإحساسات المختلفة التي يتلقاها من العالم من حوله كلها تشارك في تعلمه ذلك التعلم الذي يستمر مدى الحياة "[3].

والرسالة المهمة التي يجب أن يعيها الآباء هي أن عقول أبنائهم آخذة في التشكل والنمو منذ الميلاد وبسرعة ؛ لذا فإن الاهتمام بتشكيل عقول الأبناء منذ الطفولة الأولى أمر يجب ألا يتأخر حتى يصل الطِّفل إلى سن المدرسة[4].

فالأطفال منذ الميلاد يبحثون ويستكشفون ويتساءلون حتى قبل أن يبدؤوا الكلام ، ومن ثمّ فإنَّ الاتصال عن قرب بالأطفال منذ الميلاد من شأنه أن يأخذ بأيديهم إلى العالم الرحب بكل ما فيه.

وهذا الترجيز يعتبر من نوافذ الطفَّل الأولى على هذا العالم ، قبل الاطلاع على الكتب، وممارسة اللعب الفردي والجماعي ، لكن كثيراً من الآباء لا يشاركون الأمهات في هذه المسؤولية ، لاعتقادهم بأن مسألة تزفين الأطفال مسؤولية خاصة تقوم بها الأمهات دون الآباء " وفي نفوس بعض الآباء والرجال شيء من الخشونة وجفوة الطبع أو قدرٌ من الصلف ومن الاعتداد بالسلطة الأبوية تجاه الأسرة من زوجة

(1) الرازي: محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1995م، ج 1 ، ص 280.

(2) بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية، القاهرة ، الأعداد 345 – 276 ، ج 68 ، ص 22.

(3) عزة خليل (اقرأ لطفلك) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 2001م ، ص 5.

(4) المرجع نفسه ، المقدمة.

، وولد، وهذا الصنف من الأزواج والآباء يرون أن التحبب إلى الولد ومداعبته وملاعبته من علائم الضعف ، أو أنه انتقاص من الهيبة ، ومثل هذه الظاهرة تتبدى في المجتمعات الأبوية جملة سواء في قديم العصور أو حديثها " [1].

وبالرغم من ذلك " فإن الذاكرة العربية احتفظت بشيء غير قليل مما ساد من الأشعار والحكم في آداب الطفولة وترقيص الأطفال ومداعبتهم بالأغاني والأهازيج التي يداعبون بها أبناءهم ، وتدخل الفرحة والسرور على هؤلاء الصغار ، وتجعل نفوسهم أكثر صفاءً وأشدَّ بهجة "[2].

ومن ذلك ما رُوِيَ عن ابن هاشم وهو يرقص ابنه عبد الله وهو صغير ويقول[3]:

كأنه في العز قيسُ بن عدي
في دار سعدٍ ينتدى أهل الندى

وقيس بن عدي المذكور في الأرجوزة هو قيس بن عدي بن سعد بن سهم، من سادات قريش العظام ، كان أبوه أعز رجال قريش في أيامه ، حتى ضربوا به المثل في العز ، وكان سيَّد بني سهم[4].

وضرار بن عبد المطلب يرجز ابنته ويذكر كريم خصالها التي تراءت له ويقول[5]:

إن ابنتي بيضاء من بيض زهر
كأنها بيضة دعض في وكر
تعجب من طاف بأركان الحجر

ويقول أيضاً[6]:

إن ابنتي لحرة ذات حسب
لا تمنع النار ولا فضل لحطب

ويزفن ابنته أم الحكم ويقول[7]:

يا حبذا أم الحكم كأنها رئم أحم

(1) عمر الدقاق(الترقيصات والترنيمات في أشعار الأمهات) ، دار الفكر ، دمشق ، 2004م ، ص 31.
(2) محمد الهرفي(أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيق) ، دار الاعتصام ، ط 1 ، 1996م ، ص 36.
(3) الروض الأنف ، ج 2 ، ص 102.
(4) جواد علي(المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام) ، دار الساقي ، ط 2 ، 2001م ، ج 7 ، ص 72.
(5) محمد بن حبيب(المنمق في أخبار قريش) ، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ص 45.
(6) أبو علي القالي (الأمالي في لغة العرب) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م ، ج 2 ، ص 13.
(7) يوسف محمد الصالحي (سبيل الهدى والرشاد) ، ج 11 ، ص 119.

يا بعلها ماذا قسم ساهم

فيها فسهم

" وهكذا تراءت الطفلة بين ذراعي أبيها امرأة نابهة ، وزوجة ذات شأن، بعد أن صارت إلى كنف زوجها الكريم ، وأنجبت ولداً أثيراً لوالديه ، اسمه الحكم، وأصبحت ابنته بعد ذلك تُكنى بأم الحكم ، وهذا الترائي أو النظر المستقبلي للأب لما سيكون عليه شأن فتاته في قابل الأيام ، ينم عن عاطفة أبوية خالصة ، وهو على بساطته يبدو محبباً إلى النفس " [1].

أما العاص بن وائل ، فيخاطب ابنه عمراً ويسمعه ما يتمناه في مستقبله ، ويرسم له خطه في الحياة على ضوء الإمكانيات التي يوفرها له ، ليكون قائداً مغواراً فاتكاً بالأعداء ، وهذه المعاني كانت سائدة في عصره ، وكانت تمثل السيادة والجبروت عند أبناء القبيلة حاول أن يلقنها صغيره[2]. ويقول[3]:

ظنـــــي بعمـــــر أن يفُـــــوقَ حُلمـــــاً
وأن يســـــودَ جُمحـــــاً وســـــهما
ويُنشِـــــقَ الخصـــــمَ الألـــــدَّ رُغمـــــا
وأن يقـــــود الجـــــيشَ مجـــــراً دُهمـــــا
يلهَـــــمُ أحشـــــاء الأعـــــادِي لَهْمَـــــا

وفي بعض مناقب قُثم بن العباس وهو رضيع الحسين بن علي رضي الله عنهما ، روى ابن أبي عاصم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يأخذ قُثماً وهو صغير فيضعه على صدره ويقول[4]:

يـــــا قُـــــثم يـــــا شـــــبيه ذي الكـــــرم
منـــــا وذي الأنـــــف الأشـــــم
بـــــرغم مـــــن زعـــــم

والأنف الأشم ، كل أنف طال ودقَّ ، ويطلق مجازاً للشريف النفس.

وكذلك الذاكرة العربية احتفظت ببعضٍ من الأراجيز التي يداعب بها الإخوان والأخوات إخوتهم الصغار في مرحلتي الصراخ والتقليد اللغوي ، ومن أمثلة ذلك:

كان الزبير بن عبد المطلب يزفن العباس بن عبد المطلب وهو غلام في

(1) عمر الدقاق (الترقصيات والترنيمات) ، ص 36.
(2) محمد علي الهرفي(أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيق) ، ص 37.
(3) محمد بن مظفر(أنباء نجباء الأبناء) ، ص 86.
(4) يوسف محمد الصالحي (سبيل الهدى والرشاد) ، ج 11، ص 119.

حجره[1]:

إنَّ أخـــــي عبـــــاس عـــــفّ ذو كـــــرم
فيـــــه عـــــن العـــــوراءِ إن قيلـــــت صـــــمم
يرتـــــاح للمجـــــدِ ويـــــوفى بالـــــذمم
وينحـــــر الكومـــــاء فـــــي اليـــــوم الشَـــــبم
أكـــــرم بأعراقِـــــك مـــــن خـــــالٍ وعـــــم

فالزبير في هذه الأرجوزة يُسمع أخاه ما يتمناه له في مستقبله ، فيتمدح بكرمه وعفافه، فهو لا ينتظر سماع القبيح من الكلام ويأنف قوله ، وقد ورث الوفاء والكرم من أعراقه ، خوولة وعمومة ، فهو ممن يذبح الناقة الشبم ذات السنام العظيم في فصل الشِّتاء القارص حين يخفي كل إنسان ما عنده ويدخره لأولاده.

وقال ضرار بن عبد المطلب يزفن أخاه[2]:

ظنـــــي بميـــــاسٍ خيـــــر ظـــــن ** أن يشـــتري الحمـــد بـــإغلاء الـــثمن
ينحـــــر للأضـــــياف ربـــــات الســـــمن ** أشـــرف مـــن ذي يـــزن وذي جـــدن

والشيماء بنت الحارث تتمدح بما تراه في أخيها من الرضاعة محمد(ﷺ) وتذكر ما تتمناه له في مقبل الأيام ، وهي ترقصه[3]:

محمد خيـــــــــر البشـــــــــر ** ممـــــن مضـــــى ومـــــن غبـــــر
مـــــن حـــــجَّ مـــــنهم أو اعتمـــــر ** أحســـــن مـــــن وجـــــه القمـــــر
مـــــن كـــــل أنثـــــى أو بشـــــر ** مـــــن كـــــل مشـــــبوب أغـــــر
جنبنـــــــي الله الغيـــــــر فيـــــــه ** وأوضـــــــح لـــــــي الأثـــــــر

ثانياً: أراجيز الأمهات:

تذهب التربية الإسلامية إلى أن حنان الوالدين ، وخاصة الأم لازم لإحساس الطفل بالأمن والاطمئنان ، وهو ضرورة لازدياد ثقته بأمه ومن ثم ثقته بنفسه ، ثم ثقته بالمجتمع بأسره ، ويتخذ حنان الأم على طفلها مناحيَ متعددة منها: إبداء روح العطف عليه ، ومشاعر الرفق به ، والدعاء له وملاعبته والغناء له وهدهدته[4].

والأم التي تلد طفلها وترضعه هي التي تحنو عليه وتناغيه وترقصه ؛ لذلك

(1) أبو علي القالي (الأمالي في لغة العرب) ، ج 2 ، ص 117.
(2) محمد بن حبيب (المنمق في أخبار قريش) ، ص 250.
(3) محمد بن يوسف الصالحي (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) ، ج 1 ، ص 381.
(4) حنان عطية (الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة)، الرياض ، ط1، 2001م، ص 116، 117.

بطبيعة الحال فإن أراجيز الأمهات في الأدب العربي أكثر من أراجيز الآباء والإخوان.

وهي تحبه وتتمنى له من السعادة أكثر مما يتمنى له الآخرون، ويروى في صحيح البخاري " بينما صبي يرضع من أمه فمر بها رجل يركب فرساً فقالت الأم: اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الولد ثديها ، وقال: اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على الثدي يرضع، فقالت له أمه: مه ، أي ما الذي تقول يا بني ؟ ثم مروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها. إلى أن قال ذاك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلني مثله ، وأنَّ هذه يقولون إنها زنت ولم تزن ، وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها " [1] ، ويتضح من ذلك أن الأم تتمنى لولدها الأفضل والأجمل دائماً.

ويقول عمر الدَّقاق في كتابه الترقيصات والترنيمات " إن الأراجيز القصيرة التي نظمتها الأمهات العربيات أو أنشدتها على مسامع أولادها ، يتبين لنا أن أكثر هذه النصوص لا يعرف له قائل ، وإنه بالإجمال منسوب إلى إعرابيات نكرات قلما يذكرن في عداد الشُّعراء أو يحظين باهتمام كبير من الرواة على حين تُحظى جملة من الترقيصات بذيوع أكبر لأنها صدرت عن رجال ونساء نابهين كان لهم شأن في مجتمعهم "[2].

مهما يكن من شيء فإن المرأة تستطيع أن تقرأ ميول طفلها أكثر من غيره ، وتستطيع معرفة معالم شخصيته وقد يتراءى لها ذلك في وقت مبكر من حياة الطفل ، ويضرب الباحثون في علم النفس المثل بشخصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد نشأ في بيت زعامة سياسية وأبوه هو أبو سفيان الذي هو زعيم قريش وقد ظهرت فيه سمات النفس القيادية لذلك قالت أمه " ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة " [3]، وتبيَّن هذه المعالم إعرابي مرَّ بهما وهما يمشيان في الطريق" فعثر معاوية فقالت قم لا رفعك الله ، فقال لِمَ تقولين له ذلك إني لأظنه سيسود قومه "[4].

وكانت ترقصه وتمني نفسها أن يتحقق ظنها فيه[5]:

---

(1) محمد بن إسماعيل(صحيح البخاري – الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة، ط3 ، 1987م ، ج 5 ، ص 2275.

(2) عمر الدقاق (الترقيصات والترنيمات في أشعار الأمهات) ، ص 27.

(3) ابن كثير (البداية والنهاية)، تحقيق: علي شيري، إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 1988م ، ص 126.

(4) ابن حجر: أحمد بن علي(الإصابة في تمييز الصحابة) ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ ، ج6، ص 152.

(5) عبد الله بن محمد (العيال) ، دار القيم ، الدمام ، 1990م ، ج 1 ، ص 441.

إن يـــــك ظنّـــــي صـــــادقاً فـــــي ذا الصـــــبي
ســـــاد قريشـــــاً مثلمـــــا ســـــاد أبـــــي

وقد تصدت هند لأبي سفيان عندما كان يتمدح بخصال ابنه معاوية ويقول: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه ، فقالت: هند قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة، وكانت تحمل معاوية وهو صغير وتقول[1]:

إن ابنـــــــــي معـــــــــرق كـــــــــريم
محبـــــــب فـــــــي أهلـــــــه حلـــــــيم
لـــــــيس بفحـــــــاش ولا لئـــــــيم
ولا بطخـــــــرور ولا شـــــــؤوم
صـــــخر بنـــــي فهـــــر بـــــه زعـــــيم
لا يخلـــــــف الظـــــــن ولا يخـــــــيم

قال: فلما ولّي عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ، ما ولاه من الشَّام خرج إليه معاوية ، فقال أبو سفيان لهند كيف رأيت؟ صار ابنك تابعاً لابني فقالت: إن اضطرب حبل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني[2].

من الخصال التي تمدحت بها هند في هذه الأرجوزة:

1- تصف ابنها بأنه معرق كريم: أي أنه عريق في الكرم أي له آباء كرام.
2- تصفه بالحلم وهو الأناةُ والفرق بينه وبين الإمهال هو أن الحلم لا يكون إلا للمستحق للانتقام.
3- نفت عنه الفحش: والتفاحش في الأمر تزايد في القبح.
4- نفت عنه اللُّؤم: وهو ضد الكرم وهو الشح وقيل اللئيم ، هو من جمع بين مهانة النفس ودناءة الآباء.
5- ونفت عنه صفتي الضعف والشؤم: فهو ليس بطخرور: والطخارير قطع مستدقة رقاق، ويسمى الرجل طخروراً إذا لم يكن جلداً.
6- نفت عنه الجبن ، وهو في شجاعته ووفائه يشبه جده أبا سفيان بن حرب، بل هو كفيله وراعيه.

وكانت بنت عتبة ترقص عتبة بن أبي سفيان وتقول[3]:

إن بنـــــي مـــــن الرجـــــال حمـــــس

(1) ابن عساكر(تاريخ دمشق) ، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1998م، ج 59، ص 66.
(2) المرجع نفسه ، ص 66.
(3) عبد الله بن محمد بن عبيد (العيال) ، ج 1 ، ص 44.

كـــــــريم أصـــــــل وكـــــــريم نفـــــــس
لـــــــيس بوجـــــــاب الفـــــــؤاد نكـــــــس

يتراءى لها أنه من رجال الحماسة ، فهو كريم الأصل طيب المنبت ، وكريم النفس لا يرضى الضَّيم ، وهو ليس بنكس أي ليس من المقصرين في غاية النجدة والكرم.

وقد وصفت ضباعة بنت عامر ابنها المغيرة وهي ترقصه[1]:

نمـــــى بـــــه إلـــــى الـــــذرى هشـــــام
قـــــرمٌ وآبـــــاءٌ لـــــه كـــــرام
جحـــــاجحٌ خضـــــارمٌ عظـــــام
مـــــن آل مخـــــزوم هـــــم الأعـــــلام

ويتضح من هذه الأرجوزة أن ضباعة تريد أن تتمدح بابنها وتسمعه بأنه في مقامٍ عالٍ وقد ارتفع إلى هذا المقام بسبب جدِّه هشام ، آباؤه الكرام ، الخضارم ، والمسارع إلى الكرم، وأنه من قريش أهل البطاح.

وكانت صفية بنت عبد المطلب ترقص ابنها الزبير وتقول[2]:

وأبيـــــك إن بنـــــي كـــــيس أحمـــــق
لكنـــــه ظهـــــر كـــــريم معـــــرق
حـــــامي الحقيقـــــة ماجـــــد مصـــــدق
يضـــــرب الكـــــيس ســـــواء المفـــــرق
ولـــــيس بـــــالواني ولا بـــــالأخرق

فهي تتمدح بخصال ابنها التي تراءت لها وتتمثل هذه الخصال في التالي:

أولاً: إن ابنها (كيّس)، والكيس: خلاف الحمق لأنه مجتمع الرأي والعقل، والحمق قلة العقل ، وقيل يسمى الإنسان كيساً " إذا كان يسرع الأخذ فيما يؤمر به " [3] ، ويترك الفضول.

ثانياً: حامي الحقيقة: ويسمى الإنسان بذلك " إذا حمى ما يجب عليه حمايته"[4].

ثالثاً: ليس بالواني: والواني هو الضعيف البدن والرأي.

---

(1) أبو علي القالي(الأمالي في لغة العرب) ، ج 2 ، ص 118.
(2) عبد الله بن محمد بن عبيد (العيال) ، ج1 ، ص 429.
(3) أبو هلال العسكري(الفروق اللغوية) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط 1 ، ص 460.
(4) ابن الجذري: أبو السعادات المبارك(النهاية في غريب الحديث)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي وآخرين، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1979م ، ج 1 ، ص 1015.

رابعاً: وهو ليس بالأخرق ، والأخرق: هو الذي لا يحسن العمل والتصرف في الأمور.

وماوية بنت كعب تتحدث عن مستقبل ابنها وما يتراءى لها منه ، وكانت تحب أسامة ابنها أكثر من أخوته ، وقد اعتادت ترقيصه وهي تقول[1]:

إنَّ ظنـــــي بـــــابني أن كَـــــبن
أن يشـتري الحمـد ويُغلـى بـالثَّمن
ويهـزمُ الجـيش إذا الجـيش أرجحَـن
ويُـروي العَميـان مـن محـض اللَّـبن

فهي تظن في ابنها إن كبر واشتَّد ساعده ، أن تكثر خصاله المحمودة ، التي تجعله مشكوراً عند الناس ومرضياً عندهم ، وأن يكون شجاعاً مقداماً يهزم الجيش الثقيل من كثرته، وأن يتكرم بما لذ وطاب ، ويقدم محض الحليب للعميان الذي لا يستطيع التمييز بين الحليب المحض وغير المحض.

وفي رواية [2]:

يمـــــلأ الشـــــيزى مـــــن الـــــوارى الكـــــدن
أن نبـــــه القـــــوم إذا مـــــا قيـــــل كـــــان

وتعني أنه لا ينتقر في دعوته بل يقدم وليمته لجميع الناس فيملأ الشيزى(وهي جفان كبيرة تعمل من هذه الشجرة) باللحم الواري السمين ، وأنه إذا نبه القوم إلى أمر تحقق.

وقالت أم حكيم بنت عبد المطلب وهي البيضاء تزفن ابن ابنتها عثمان بن عفان[3]:

ظني بـه صـدق وبر يـأمر ويـأتمر
مـــــن فتيـــــةٍ بـــــيض صـــــبر
يحمـــــون عـــــورات الـــــدبر
ويضـــــرب الكـــــبش النعـــــر
يضـــــربه حتـــــى يَخـــــر
بكـــــل مصـــــقول هبـــــر

أم حكيم ترى في ابن ابنتها وقد تراءى لها وقد اشتدَّ ساعده ، فتصفه ، وتزعم

(1) الروض الأنف ، ج 1 ، ص 93.
(2) محمد بن حبيب (المنمق في أخبار قريش) ، ص 249.
(3) محمد بن حبيب (المنمق في أخبار قريش) ، ص 252.

أن ظنها به صدق لا يخالجه الشك ، فهو ذلك السيَّد الآمر الذي يتمثل أوامره في نفسه قبل أن يأمر بها الآخرين ، بل هو من الفتية البيض القلوب ، العافين عن الناس ، الصابرين في البأساء والضراء ، حماة الأعراض ، وهو مع ذلك فتىً شجاعاً في المعركة ، مقداماً إذا قصد الأعداء بسيفه القاطع حتى يكفي الناس شرهم.

وكان عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين أسود فكانت أمه تلعبه بذلك ، وكانت ترقصه وهو طفل[1]:

إنـــــك أن تكـــــون جونـــــاً أقرعـــــا
يوشـــــك أن تسُـــــودَهُم وتبرعـــــا

أما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها فقد كانت معجبة بابنها عبد الله بن الزبير، فكانت تصفه بأحسن الصفات وأجملها ، وهو لا يزال طفلاً صغيراً بين يديها فهو أبيض كالحسام ، يعيش في أسرة طيبة ، وهي تتمنى له أن يكون في المستقبل خطيباً لا يجاريه أحد في روعة بيانه وفصاحته ، كما تود أن يكون مفرجاً للكربات في ساعة الضيق[2].

ويتضح ذلك في قولها وهي ترجزه[3]:

أبـــــيض كالســـــيف الحُســـــام الغبريـــــق
بـــــين الحـــــواريّ وبـــــين الصِـــــدِّيق
ظنـــــي بـــــه ورُب ظـــــنّ تحقيـــــق
والله أهـــــل الفَضـــــل أهـــــلُ التوفيـــــق
أن يُحِكـــــمَ الخِطبـــــة يعـــــي المســـــليق
ويَفـــــرجَ الكربـــــة فـــــي ســـــاعة الضَّـــــيق

وتظهر في كل هذه الأراجيز الحرص الشديد على عنصر التباهي والتفاخر ، وذكر خصال الآباء والأجداد ، والاعتداد بالقبيلة ، والتفاؤل بمستقبل الطفل على ضوء هذه المعطيات.

(1) الزبيدي (تاج العروس من جواهر القاموس) ، دار الهداية ، ج 24 ، ص 288.
(2) محمد علي الهرفي(أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيق) ، ص 38.
(3) محمد بن مظفر (أنباء نجباء الأبناء) ، ص 85.

المبحث الثالث

أغراض ترجيز الأطفال

انتحت أغلب أشعار ترجيز الأطفال منحاً دينياً يهدف إلى تهذيب الأخلاق والاعتناء بالمبادئ والقيم التي يرغب الآباء أن يتحلى بها أبناؤهم ، فتطرق شعراء ترجيز لعدة أغراض لتحقيق هذا الهدف منها: الدعاء للطفل ، نصح الطفل وإرشاده والتعبير عن حب الولد.

أولاً- الدعاء للطفل:

الدعاء للطفل له فوائد عظيمة منها ، جلب الراحة والطمأنينة ، والحفظ والبركة للأبناء ، ومن جانب آخر صرف الشر عنهم بإذن الله من الحسد والشيطان ، وهوام الأرض ، وفوق هذا كله فإن الدعاء هو مخ العبادة ، وفيه شعور بالفقر والالتجاء إلى الله وحده وهذا من أهم مقاصد الإسلام.

والوالدان والأقربون يدعون للطفّل شفقة ورحمة ، والراحمون يرحمهم الله عزَّ وجلَّ ، والشفقة التي أودعها الله في قلوب الوالدين هي من أعظم أبواب السعادة ، قال الحسن: " دعاء الوالدين للولد نجاة ، ودعاؤهما عليه استئصال"[1]. فالدعاء للولد من الأمور المهمة التي يجب أن يأخذ بها الوالدان في تربية الولد، بأن يكون الولد صالحاً، قال تعالى:﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[2].

ويروى عن أم سَلِيم أنها جاءَتْ إلى رسول الله ﷺ وقالت: " يا رسول الله خويدمك أنس أدعُ له ، فدعا له النبيﷺ، بخير الدنيا والآخرة "[3] ، فتسببت له في ذلك

(1) أبو محمد: مكي بن أبي طالب(الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره) ، ط 1 ، 2008م ، ج 11 ، ص 22.

(2) سورة الأحقاف ، الآية 15.

(3) أحمد بن حنبل (مسند الإمام أحمد بن حنبل) ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ج3 ، ص 248.

ذلك الخير ، وكم من أُم وكم من أب دعا لولده دعوة أسعدته في الدنيا والآخرة.

يروى عن السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها، أنها كانت ترقّص رسول الله ﷺ في صغره وتقول[1]:

يـــــــا رب إذا أعطيتـــــــــه فأبقـــــــــه
وأعلقـــــــه[2] إلـــــــى العـــــــلا وأرقـــــــه
وأدحـــــــض أباطيـــــــل العـــــــلا بحقـــــــه

وهذه من إرهاصات النبوة.

وتروي حليمة السعدية[3] أنها كانت بعد رجوعها بالرسولﷺمن مكة كانت لا لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً عنها ، فغفلت عنه يوماً في الظهيرة ، فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاعة الشيماء ، وكانت تحضنه مع أمها ، ولذلك تُدعى أم النبي وكانت ترقِّصه بقولها([4]):

هـــــــذا أخ لـــــــم تلـــــــده أمـــــــي
ولـــــيس مـــــن نســـــل أبـــــي وعمـــــي
فديتـــــــه مـــــــن مخـــــــول معـــــــم[5]
فأنمـــــــه[6] اللهـــــــم فيمـــــــا تنمـــــــي

فقالت في هذا الحر! أي لا ينبغي أن يكون في هذا الحر ، فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حراً رأيت غمامة تظلل عليه .

وقالت أيضاً ترقِص النبي ﷺ وتدعو له[7]:

يـــــــا ربنـــــــا أبـــــــق لنـــــــا محمدا
حتـــــــى أراه يافعـــــــاً وأمـــــــردا
واكبـــــــت أعاديـــــــه معـــــــاً والحُســـــــدا
وأعطـــــــه عـــــــزاً يـــــــدوم أبـــــــدا

وهي تدعو الله أن يبلغه سن الشباب، وينصره على الأعداء والحاسدين، وأن

(1) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الخصائص الكبرى) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
(2) أعلقه: أبلغه وأرفعه.
(3) علي برهان الدين الحلبي (السيرة الحلبية) ، دار المعرفة ، بيروت ، ج1 ، ص 167.
(4)المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(5) مخول مُعَم: كريم الأخوال والأعمام.
(6) فأنمه: فارفعه.
(7) ابن الحجر العسقلاني (الإصابة في تمييز الصحابة)، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ج 7، ص 733.

يكبت أعاديه كبتاً أي أن يضربهم ضرب ذلة وإهانة.

وفي ترجمة عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب يقال إن الزبير كان يرقِص النبي ﷺوهو صغير ويقول[1]:

محمد بـــــــــــن عبـــــــــــدم
أنعـــم فـــي عـــز فـــرع أســـنم

والزبير هو أكبر أعمام النبيﷺ ، وفي رواية أُخرى كان يرقِصه ويقول[2]:

مُحمّـــد بـــن عبـــدم ** عِشـــت بعـــيش أنعـــم
فـــي دولـــةٍ ومغـــنَم ** دامٍ ســـجيس الأزلـــم

وأمُّ البنين الوحيدية بنت حزام بن خالد بن ربيعة لها عدَّة ترقيصات تدعو فيها لأبنائها منها ما قالته في تزفين ابنها العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام[3]:

أعيـــذه بالواحـــد مـــن عـــين كـــل حاســـد قـــائم والقاعـــد
مســـــلمهم والجاحـــــد صـــــادرهم والـــــوارد

وأعيذه بالواحد: من عاذ بربه إذا لجأ إليه واعتصم بالله ، وكان رسول الله ﷺ، يعوذ ابني ابنته البتول عليهما السلام بالمعوذتين ، وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبيﷺ: " إنه كان يعوذ الحسن والحسين: أعوذ بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامَّة ، ومن شر كل عينٍ لامة " [4].

وتقول أم البنين في تزفين جبير بن مطعم بن عُدي بن نوفل[5]:

احفـــــظ جبيـــــراً رب فـــــي الســـــرية
ولا تُقعـــــــدني مقعـــــــداً شـــــــقية
وبـــــاركن يـــــاربي فـــــي بنيـــــه
احفـــــظ جُبيـــــراً مـــــن ســـــيوف فـــــارس
وجنبـــــــه عـــــــارض الوســـــــاوس

(1) ابن حجر العسقلاني(الإصابة في تمييز الصحابة) ، ج4 ، ص 89.
(2) الروض الأنف ، ج 1 ، ص 210.
(3) محمد بن حبيب (المنمق في أخبار قريش) ، ص 351.
(4) محمد بن يزيد (سنن بن ماجة)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ج 2، ص 1164.
(5) محمد بن حبيب (المنمق في أخبار قريش) ، ص 351.

وأحفظـــــه مـــــن كـــــل زحيـــــر[1] حـــــادس[2]
زيـــــــــــنن ربِّ بـــــــــــه المجـــــــــــالس

وهنالك أراجيز أخرى لنساء مجهولات أو من الأغفال الذين لا نعرف عنهم شيئاً في التراث العربي ، ومن هذه الأراجيز ما ورد عن امرأة من حمير تدعو لولدها أن يهبه الله مالاً كثيراً ويرزقه من الأهل والأولاد ، وتقول[3]:

يـــــا رَبَّنـــــا مـــــن سَـــــرَّه أن يكبـــــرا
فهـــــب إليـــــه ربَّ مـــــالاً حيـــــرا

وفي رواية: فسق إليه ربِّ مالاً حيَرا.
وتقول أخرى: ترقِص ابناً لها(4):
رزقـــك الله جـــداً يخـــدمك عليـــه ذوو العقـــول
ولا رزقـــك عقـــلاً تخـــدم بـــه ذوي الجـــدود

ثانياً: نصح الطِّفل وإرشاده:

النصائح هي مفتاح التعامل الصحيح مع أفراد المجتمع لتنشئتهم تنشئة بناءة ، وهو من القواعد التي تبني الإنسان الفعال ، التي تهيئه للاستخلاف وعبادة الله تعالى ، فقد كان من حال لقمان أن ينصح ابنه ويعلمه ويوجهه إلى الخير بشكل مستمر ومتواصل ، وذلك لأنَّه من الأمور المهمة في الحياة والتي لا مفر من تكرارها والصبر على ذلك(5).

بدأ لقمان بنصح ابنه على تحسين علاقته بالله تعالى:﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

(1) زحير: داء إنطلاق البطن.
(2) حادس: الصارع.
(3) الزبيدي (تاج العروس من جواهر القاموس) ، ج11 ، ص 119.
(4) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (شرح نهج البلاغة) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث ، ج 18 ، ص 182.
(5) موسوعة خطب المنبر ، الخطبة الأولى ، إعداد: أحمد عبد الله ، الشيخ عبد الرحمن بن محمد.

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]. ومن ثَمَّ ينصحه بإقامة الصلاة والصبر عن المعصية ، والصبر على أقدار الله التي تصيب الإنسان وهي الصبر على الطاعات والصبر عن المحرمات، قال تعالى:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ[17] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{18} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ[19]﴾[2].

وتعهد لقمان لابنه وعدم تركه بلا وعظ وإرشاد فيه توجيه للآباء أن يتعهدوا أبناءهم بالوعظ بذلك.

وهذه النصائح ما أكثرها في التراث العربي ، فهذا حكيم يوصي ابنه: " عليك بصحبة من إذا صاحبته زانك وإن احتجت إليه مانك ، وإن استغثت به أعانك ، وإن خدمته صانك"[3].

وهذا صفوان ينصح ابنه: " دع من أعمال السر ما لا يصلح في العلانية " [4].

وقديماً كان قس بن ساعدة ينصح ابنه ويقول: " إذا نهيت عن شيء فَانْهَ نفسك ، ولا تجمع ما لا تأكل ولا تأكل ما لا تحتاج إليه " [5].

أمَّا أن توجه هذه النصائح إلى الأطفال الذين لم يبغلوا الحلم أو الأطفال في سن الرضاعة والتقليد اللغوي ، فهذا قليلٌ في تراثنا العربي ، ويعبر فيه الوالدان عن نفسيهما.

وقد رُوِيَ عن السيدة فاطمة الزهراء في ترقيص ابنها الحسن ، وقد دلف السرور على نفسها ونفس علي رضي الله عنه ، وانسكبت أنوار السعادة في قلبيهما ، فقد وهبهما الله عز وجل هبة كريمة ، ووهبهما ذرية طيبة من نسل رسول الله ﷺ، وانشرح صدر فاطمة بوليدها الذي زرع السعادة في صدرها فكانت تقول في

(1) سورة لقمان ، الآية 13.
(2) سورة لقمان ، الآيات 17 - 19.
(3) ابن عساكر (تأريخ دمشق) ، ج 16 ، ص 108.
(4) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ، ج 6 ، ص 305.
(5) إبراهيم عبد الفتاح (علي بن أبي طالب) ، ص 10.

ترقيصه[1]:

أشـــبه أبـــاك يـــا حســـن
واخلـــع علـــى الحـــق الرســـن[2]
واعبـــــد إلهـــــاً ذا مـــــنن[3]
ولا تـــــولي ذا الإحـــــن[4]

تدعو بأن يتخذ أباه مثلاً ، بألا يخاف في قول الحق لومة لائم ، وأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ، ولا يوالي أهل الإحن والأحقاد الذين يزرعون الفتنة بين الناس.

وقالت امرأة من العرب ترقص ابناً لها:

أشبه أبا أمك أو أشبه جمل
ولا تكـــونن كهلـــوفٍ وكِـــل
يصبح في مضجعه قد انجدل
وارق إلى الخيرات زنأ في
الجبـــــــــــــــــل

(وأشبه أبا أمك) ، يعني أباها الذي هو جِدُّهُ لأمه ، وأشبه جمل: نجيبٌ من قومهِ ولعلَّه أبُوهُ ، ومعناه أشبه هذا وهذا، (ولا تكوننَّ كهلوفٍ): الهلوف: الرَّجُلُ الجافي العظيم، الوكل: الضعيف، والمعنى: لا تكوننَّ رجُلاً ثقيل الجسم مسترخياً، يصبح في مضجعه قد انجدل، يعني واقع على الأرض، لأن الأرض تسمى الجدالة ، و(ارق إلى الخيرات): معناها اصعد إليها والخيرات مثل الصدقة، والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[5].

ومعناه أنك تعلو بصعودك في الجبل عن حقيقته ولا أن يعلق فيه بمجازه.

ويروى أنها[6] لرجل رأى ابناً له ترقصه أمه فأخذه من يدها وقال أشبه أبا أمك، وهذا

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(2) الرسن: الحبل ، أو محركة الحبل.
(3) منن: منَّ يَمُنُّ وهو الإنعام مطلقاً ، وهو المحسن الذي لا يطلب الجزاء.
(4) الإحن: الأحقاد.
(5) سورة الأنبياء ، الآية 73.
(6) الزبيدي: محمد عبد الرازق (تاج العروس من جواهر القاموس) ، ج 1 ، ص 259.

الرجل قيس بن عاصم المنقري، أي كن مثل أبي أمك أو مثلي، وكان أبو أمه شريفاً سيّداً ، وهو زيد الفوارس بن ضرار الضبي ، وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس ، قال فأخذته أمه بعد ذلك فجعلت ترقصه وتقول[1]:

أشبه أخي أو أشبَهنَّ أباكا
أمَّا أبي فلن تنال ذاكا
تقصر عن مثله يداكا
والله بالنَّعمة قد والاكا

ثالثاً: حب الولد:

التعبير عن حب الوالدين لولدهما:

فطر الله تعالى الإنسان على حب الولد والذرية ، قال تعالى:﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، وقال تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[3] ، وقال تعالى على لسان زكريا:﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيا﴾[4]، وقال تعالى:﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[5]، وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[6].

وفي الحديث المرفوع " ريح الولد من ريح الجنة " [7] ، ويروى أن الرسولﷺخرج ذات يوم وهو محتضنٌ أحد ابني ابنته وهو يقول: " إنكم لتُبخِّلون وتجبنُّون وتُجهِّلون، وإنكم لمن ريحان الجنة " ﷺ.

والولد مجبنة لأنه سبب لجبن الأب ، فإنه يتقاعد عن الغزوات بسبب حب الأولاد والخوف من الموت عنهم ، ومعنى قوله مبخلة أي أن الولد سبب البخل بالمال وقوله مجهلة لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه

(1) محمد بن مكرم (لسان العرب) ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، ج 1 ، ص 91.
(2) سورة الكهف ، الآية 46.
(3) سورة النحل ، الآية 72.
(4) سورة مريم ، الآية 5.
(5) سورة آل عمران ، الآية 28.
(6) سورة الفرقان ، الآية 74.
(7) علاء الدين علي بن حسام (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) ، ج 16 ، ص 274.

بتحصيل المال.

ولولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل وهذا من حكم الله البالغة بل إن هذه المحبة غريزة في جميع الحيوانات ، وقيل في تصوير الأولاد ومنزلتهم: الأولاد ثمار القلوب ، وعماد الظهور ، وهم زينة الحياة الدنيا وبهجتها وبهم تسر النفوس وتقر العيون، فإن يزيد بن معاوية أرسل إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له: " يا أبا بحر ما تقول في الولد، قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك "[1].

حب الولد لا يعدله حب حين يشعر الإنسان أنه جزء منه وامتدادٌ له ، يرى في ملامحه وصفاته نفسه ، ويشعر نحوه بالمسؤولية وواجب التربية التي يجد بها المتعة مع التعب.

وما وصل إلينا من أراجيز ترقيص الأطفال التي تُعبر عن حب الآباء والأمهات لأبنائهم ليس بكثير، ومن هذا القبيل ما يروى في ترجمة عثمان بن عفان أنه كان" محبباً في قريش يوصون إليه ويعظمونه " [2] بسبب أخلاقه الفاضلة وسيرته الحميدة وسلوكه المثالي ، حتى صار حبهم مضرب المثل.

فقد كانت المرأة منهم ترقّص ولدها قائلة[3]:

أحِبُّك والرحمن حبَّ قريش لعثمان

وكان عثمان حيياً شديد الحياء ، رفيع التهذيب ، عالي التربية ، لين العريكة ،

(1) الغزالي: محمد بن محمد (إحياء علوم الدين) ، دار المعرفة ، بيروت ، ج 2 ، ص 218.
(2) ابن عساكر (تأريخ دمشق) ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1 ، 1998م ، ج 32 ، ص 251.
(3)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

سمح النفس ، دمث العشرة ، لطيف الطبع ، كثير الإحسان والحلم[1]، من أحكم قريش عقلاً وأفضلهم رأياً.

وقال بعض الرواة[2]: إنه حضر مجلس ابن السراج وهو يقرئ الناس النحو وغيره من أنواع الأدب ، وإلى جانبه ابن له صغير ، وهو شديد الحنُّو عليه ، فقال له بعض الحاضرين أتحبه أيها الشيخ ؟ فقال متمثلاً[3]:

أحبه حُبَّ الشحيح ماله
قد كان ذاقَ الفقر ثم ناله
إذا يريد بذله بدا له

وقد ذكر الأصمعي[4] أنه رأى امرأة من الأعراب ترقِص طفلها بتلك الأرجوزة.

" ومن طبيعة الأم في الحياة ، وبدافع غريزي أنها تنظر إلى ابنها نظرة إعجاب، وقد يتراءى لها أنه مخلوق لا نظير له في الكون وأنه دون سائر الأبناء " [5].

وهكذا كانت امرأة من الأعراب تُرقِص ابنها الذي نوَّر لها الدنيا وأسعدها فتقول[6]:

يا حبذا ريح الولد
ريح الخزامى في البلد

(1) ابن حجر(الإصابة في تمييز الصحابة) ، ج 4، ص 458.
(2) الخطيب البغدادي (تأريخ بغداد) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
(3)المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(4) أحمد بن عبد ربه(العقد الفريد)، تحقيق: أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت: 1956م ، ج 2 ، ص 439.
(5) عمر الدقاق (الترقيصات والترنيمات في أشعار الأمهات) ، ص 24.
(6) شهاب الدين محمد بن أحمد(المستطرف في كل فن مستظرف) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2، 1986م ، ج 2 ، ص 24.

أهكـــــــــذا كـــــــــل ولـــــــــد

أم لـــــــم يلـــــــد مثلـــــــي أحـــــــد

فهي تتنسم رائحته كما تنسمها من قبل يعقوب عندما تنسم رائحة ابنه وقال تعالى على لسانه:﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1].

أما عن حب البنات فإن العرب لم يكونوا في جاهليتهم يرحبون بمولد البنات، لأن الحياة البدوية القاسية، وفقر البيئة الزراعية يتطلبان الاعتماد على قوة الرجال، والتخفف من النساء لأنهن عالات على القبيلة[2] كما يزعمون ، لذلك عرف العصر الجاهلي وأد البنات تلك العادة السيئة التي أزهقت آلاف الأرواح إلى أن جاء الإسلام وحررهن من هذا الشِّراك.

يروى أن شيخاً من الأعراب تزوج جارية من رهطة ، وطمع أن تلد له غلاماً ، فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها، وصار يأوي إلى غير بيتها، فمرَّ بخبائها بعد حول وهي تُرقص بنيتها منه وهي تقول[3]:

مـــــا لأبـــــي حمـــــزة لا يأتينـــــا
يظـــــل فـــــي البيـــــت الـــــذي يَلينـــــا
غضـــــــبان ألا نلـــــــد البنينـــــــا
تـــــــالله مـــــــا ذاك فـــــــي أيـــــــدينا
وإنمـــــــا نأخـــــــذ مـــــــا أُعطينـــــــا

وقد عبَّر رسول اللهﷺعن تجربته الشعورية السارة عندما بُشِّر بولادة السيدة فاطمة رضي الله عنها، وقال:" ريحانة أشمها ورزقها على الله "[4].

وقد عبر عن هذه العاطفة سيدنا معاوية بن أبي سفيان عندما دخل عليه عمرو بن العاص وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال: هذه تفاحة القلب، فقال: انبذها عنك، قال: ولِمَ؟، قال: لأنهن يلدن الأعداء ويقربن البُعداء، ويورثن الضغائن ، فقال: لا تقل ذلك يا عمرو ، فوالله ما مرَّض المرضى، ولا ندب الموتى،

(1) سورة يوسف ، الآية 94.
(2) عمر الدقاق (الترقيصات والترنيمات في أشعار الأمهات) ، ص 43.
(3) الجاحظ (البيان والتبيين) ، دار صعب ، بيروت ، 1968م ، ص 108.
(4) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ، ج 2 ، ص 438.

ولا أعان على الأحزان مثلهن[1].

وكان لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاماً ، فرقصته أمه ، وقالت مضارةً لضرتها من الرجز[2]:

الحمـــد لله الحميـــد العـــالي
أنقـــذني العـــام مـــن الخـــوالي
مـــن كـــل شـــوهاءَ كشَـــنّ بـــالي
لا ترفـــع الضـــيم عـــن العيـــال

أما ضرتها التي أنجبت بنتاً فقد أرجزت وأحسنت ، وبيَّنت فضائل البنت ورقصتها وهي تقول[3]:

ومـــــا علـــــيَّ أن تكـــــون جاريـــــة
تغســـــل رأســـــي وتكـــــون الفاليـــــة
وترفـــــع الســـــاقط مـــــن خماريـــــة
حتـــــى إذا مـــــا بلغـــــت ثمانيـــــة
أزَّرتهـــــا بقبـــــةٍ يمانيـــــة
أنكحُهـــــا مـــــروان أو معاويـــــة

فتزوجها مروان على مائة ألف ، وقال: إن أمها لحقيقةٌ ألَّا يكذب ظنها ، ولا يخاس بعهدها ، وقال: معاوية لولا مروان سبقنا إليها ، لأضعفنا لها المهر ، ولكن لا تحرم الصلة ، فبعث إليها بمائتي ألف درهم.

المبحث الرابع
سمات ترجيز الأطفال وفوائده

أولاً: سمات أراجيز ترقيص الأطفال:

ترقيص الطفل يأخذ أهميته إذا نُظر إليه على أنه نوع من أنواع القراءة للأطفال، لأنَّ الراجز للطِّفل إنما يقرأ له أبيات من بحر الرجز ، في صورته المنطوقة مع مراعاة التنغيم والإيقاع ، لذلك مما يجب على الآباء والمحيطين بالطفل أن يكونوا كالمعلمين على وزن عقول الصبيان ، لأن الرسولﷺ قال: " من كان له صبيٌ

(1) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ، ج 2 ، ص 438.
(2) شهاب الدين بن محمد (المستطرق في كل فن مستظرف) ، ج2 ، ص 24.
(3)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

فليتصابى له " [1]، أي يتصاغر له بلطف ولين في القول والفعل ليفرحه.

وما أجمل أن يكون الأمهات كتلك المرأة التي مرَّ الحجاج بدارها ، وهو يسير فسمع كلاماً فيه تخليط وهذيان فقال: (مجنونة أو ترقص صبياً).

ويقول الجاحظ في الرسائل: " ألا ترى أن أبلغ الناس لساناً ، وأجودهم بياناً ، وأدقهم فطنة ، وأبعدهم رؤية ، لو ناطق طفلاً أو ناغى صبياً لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان وانتبه لمخارج كلامهم ".

ومن هذا يتضح أن القراءة للأطفال تختلف عن القراءة للكبار ، وكذلك ترقيصات الأطفال من الضرورة بمكان أن تختلف عن ترقيصات الكبار ، فيما يلي نحصي بعض السمات التي تتميز بها أراجيز ترقيص الأطفال في مرحلتي الصراخ والتقليد اللغوي ، وهي على النحو التالي:

أولاً: التنغيم:

يستطيع الراجز للطفل أن يلون صوته عند النطق بالأبيات فتبدو هابطة النغمة أو عالية أو طويلة أو قصيرة ، حسب الهدف الذي يرمي إليه ، ويشمل ذلك الوقف والسكت ، ولهذا التنغيم أثر كبير في نفوس الأطفال وحسن إصغائهم.

" ومن اليسير على الطفل أن يبدأ في الربط بين بعض الأصوات والشعور بالراحة والأمان " [2].

وهذا ما لفت انتباه الخليل بن أحمد لتسجيل بحور الشعر ويروي الخليل نفسه أنه كان بالصحراء فرأى رجلاً قد أجلس ابنه بين يديه وأخذ يردد على سمعه:(نعم لا نعم لا لا ، نعم لا نعم لا لا) مرتين فسأله عن هذا فقال: " إنه التنغيم نعلمه لصبياننا " [3].

ولغة الأمومة هي أسمى وأعذب لغة للتخاطب مع الطِفل .. وهي لغة الحنان المفعم بالعاطفة الأنثوية التي تحمِّلها الأم أصدق مشاعرها وأعذب ألحانها ترخيماً وحساً وجدانياً ، وسمواً ذاتياً يعجز الرجل عن الإتيان بمثله.

ثانياً: الإيقاع المنتظم:

تتميز أغلب هذه الأراجيز المقدمة للأطفال بالإيقاع المنتظم ، أي نجد فيها تكراراً ، وانتظاماً في القافية ، وقد جاءت معظمها على بحر الرجز.

---

(1) محمد عبد الرؤوف (فيض القدير في شرح الجامع الصغير) ، ج 6 ، ص 271.

(2) عزة خليل (اقرأ لطفلك) ، ص 12.

(3) صادق عبد الله أبو سليمان، دراسة بعنوان: السماع في اللغة عند القدماء والمحدثين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الأعداد 81- 102.

ومستوى الإيقاع إمَّا يكون ليناً أو خفيفاً ، أما الإيقاع الحاد فهو لا يصلح لترقيص الأطفال ، أمَّا عن سرعة الإيقاع وبطئه فيتحكم في ذلك الراجز نفسه ، حسب الطابع الذي يريد أن يطبعه على الطفِل ، والغالب في الإيقاع السرعة في اللعب ، والبطء في النوم.

ثالثا: الترجيز الفرح:

والفرق بين الفرح والمرح هو أن الفرح قد يكون بحقه فيحمد عليه ، وقد يكون بالباطل فيذم عليه[1]، والمرح لا يكون إلا بالباطل ، قال تعالى:﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[2]، وقد يأتي بمعنى التبختر والاختيال، وقال تعالى:﴿لاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾[3] أي متبختراً ، وعلى ذلك فإن الترجيز للأطفال يجب أن يكون ترجيزاً فرحاً ، لأن الغرض منه إدخال السرور في نفس الطفل في كل أحواله ، وقد لاحظ الباحث ذلك في تجربة خاصة على طفله ، عندما رجَّزه قبيل النوم فاستيقظ من نومه مسروراً ، ثم رجَّزه في اللعب فسُرَّ أيما سرور ، وقد اعتاد على أراجيز بعينها في النوم وأخرى في اللعب.

رابعاً: الارتجال:

هو الإتيان بالكلام من غير فكر ولا روية، وهو عند اللغويين الاختراع، وقد يكون مأخوذاً من ارتجال الرجل البئر وذلك أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل، والارتجال في هذه الأراجيز يبدو في تأليفها العفوي لكف بكاء الطَّفل أو ادخال الفرح والسرور في قلبه، وغير ذلك من الأهداف، وما أكثر الأمهات اللائي أنطقتهن هذه المواقف ، وهنَّ في غمرة مداعبة وترقيص الأطفال ، ومن أمثلة الارتجال ما رويَّ عن عبد المطلب بن هاشم حين دفعت إليه زوجه بابنها العباس ليقول فيه شيئاً من الشِّعر فأخذه وجعل يرقصه ويلاعبه ويقول[4]:

ظنِـــــي بعَبَّـــــاسٍ حبيبـــــي إن كَبُـــــر
أن يمنـــــع القـــــومَ إذا ضـــــاع الـــــدُّبر

(1) أبو هلال العسكري (الفروق اللغوية) ، ص 52.
(2) سورة غافر ، الآية 75.
(3) سورة الإسراء ، الآية 27.
(4) ابن عساكر (تأريخ دمشق) ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن قرافة ، دار الفكر ، بيروت ، 1995م ، ج 36 ، ص 283.

وينـــزع السَّـــجلَ إذا اليـــوم أقمطـــر
ويســـبأ الـــزّق الســـجيلَ المنفجـــر
ويفصـــل الخطـــة فـــي اليـــوم المبَـــر
ويكشـــف الكـــربَ إذا مـــا الخطـــبُ هـــر

خامساً: القصر:

الكثرة الغالبة من هذا الشعر مقطوعات قصار ، سواء أكان الشاعر من المشاهير أم من الأغفال[1].

والقليل جداً من هذه الترجيزات ما تجاوز الخمسة الأبيات ، بالرغم مما في هذا الوزن من فسحة، لكن ربما الطفل نفسه وغرض الترجيز والمحافظة على الإيقاع المنتظم هو ما قاد إلى هذا القصر.

ومن أمثلة هذه الأشعار القصيرة التي كانت تغنيها الأمهات ، يرقصن بها أطفالهن في الجاهلية من ذلك ما غنته هند بنت عتبة لابنها معاوية ، ومنها ما قالته ضباعة بنت عامر بن قرط وهي ترقص ابنها المغيرة بن سلمة، وما قالته أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهي ترقص ابنها عبد الله بن عباس.

وهذا الترجيز يعتمد على إيقاع الرجز ذلك" الإيقاع العربي الشعبي الذي يحسنه من أوتي أدنى حس أدبي، والرجز وإن كان دون القصيد منزلة فهو ألين من القصيد وأمرن"(2) ، وهو من هذا الجانب يناسب الطفولة لما فيه من لين وسهولة.

ثانياً- فوائد الترجيز للأطفال

أ- إدخال السرور في نفس الطفل:

الترجيز للطفل هو الغناء للطفل على جهة المداعبة باستخدام بحر الرجز ، وهذه من الأمور التي تعتبر ذات فائدة ونفع للطِّفل ، وأكثر أهمية له لقربها إلى نفسية الطِّفل وتكوينه السيكولوجي.

وهناك الكثير من الأحاديث التي تدل على أن النبيﷺ قد أقرَّ هذا النهج وعمل

(1) غازي طليمات وآخرون(الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة) ، دار الفكر ، دمشق ، 2007م ، ص 320.
(2) غازي طليمات وآخرون ، مرجع سابق.ص320.

به ومن الروايات المؤيدة لذلك ، ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبيﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان إذا جاء قال: " يا أبا عمير ما فعل النغير " [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺيقول: حزقة حزقة[2] ، وهو آخذ بكفي الحسن أو الحسين ، فذكرها على سبيل المداعبة والتأنيس له " فيرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺثم قال له: افتح ثم قبله ، ثم قال اللهم أحبه فإني أحبه "[3].

هذه دروس وعبر من هدي النبيﷺ في مداعبة الأطفال تارة بالحمل وأخرى بالمضاحكة ، وإلى غير ذلك وقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسول اللهﷺ فسارعوا إلى ممازحة ومداعبتهم أطفالهم ، والنزول إلى منازلهم ، فكانوا يتصابون لهم ويلاعبونهم.

لذلك ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع الأولاد[4].

وهذه حقيقة يدركها حتى العوام من الناس: إذ إن الإنسان بل الحيوان يستريح ويميل ويستجيب لكل ماهو منغوم منظم ، فالأم ترقص وتدلل رضيعها بكلمات منغومة(وهو يفرح ويسعد) بذلك.

وفي الأدب العربي شعر كثير من (أدب ترقيص الأطفال) ، وقد كان وربما بالإمكان أن يحقق هذه الغاية إذا استخدم لهذا الغرض.

---

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل (الأدب المفرد) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط 3 ، ص 103.
(2) والحزقة: الضعيف المتقارب الخطو من ضعفه.
(3) الطبراني: سليمان بن أحمد (المعجم الكبير) ، مكتبة العلوم والحكم ، ط 2 ، 1982م ، ج 2 ، ص 49.
(4) علي بن نايف(موسوعة البحوث والمقالات العلمية)، مقالة بعنوان: الحداثة والميلاد الميت: جابر قميحة.

ويرى الباحث أن الأطفال اليوم ، يتمايلون ويهتزون للموسيقا التي تصل إلى آذانهم بل حتى الرُّضع منهم يستجيبون لذلك.

ب ـ إدخال السرور في نفس الزوج والزوجة:

شعور الأم بالسعادة والسرور والاطمئنان في هذا الجو المفعم بالحب والحنان ، حين يتقرب الأب من طفله ويكلمه بكلمات رقيقة ، ومداعبات لطيفة، فيتولد لديه الإحساس بالفخر والعطف والمحبة والولع لرعاية أسرته ، ولذا نراه مسرعاً بالعودة إليها قلقاً عليها وبالمقابل تتشكل لدى الطفل تجاه والده مشاعر مماثلة من المودة فنراه مرفوعاً بيديه ورجليه ، ونلمح بريقاً في عينيه وارتفاعاً بصوت مناغاته ونجده مراقباً والده بالنظر إليه[1].

والشائع عند معظم الآباء أن مثل هذه الأعمال من اختصاص النساء فقط، ولا شأن لهم بها ، علماً بأن ابتعاد الآباء عن أطفالهم حديثي الولادة يفقدهم التنعم والشعور بلذة العاطفة والحنان اللتين لا يمكن الإحساس بهما ، إلا إذا تم التقرب من الطِفل وتبادل مشاعر المداعبة وعذب المحاكاة معه[2].

كما نلحظ شعور الأم بخيبة الأمل لعدم اكتراث زوجها بالضيف القادم إلى هذه الأسرة ، فتفقد بعضاً من مشاعر الحب ، ويعتريها الضيق والضجر، ويتكدر مزاجها ، لينعكس في تصرفاتها ، وتفقد بعضاً من عافيتها التي يتأثر بها وليدها فيشحن جو المنزل بالخصومات وعدم الارتياح[3].

ومداعبة الأطفال تساعد في إذهاب الكآبة والسآمة بين الزوجين ، وتنشط روحهما، وتريح عقلهما ، وتفتح نفسيهما للتقبل.

(1) محمد منير لكود(المتابعة علم وفن) ، معهد المحيط للغات والمتابعة ، سوريا ، دمشق ، انظر ص11.
(2)المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(3) محمد منير لكود (المتابعة علم وفن) ، ص 11.

وتبقى هذه المداعبة والحنو من قبل الوالدين المشاعر طافحة بالحنان تؤكد الاعتزاز بالذات ما دامت العلاقة الزوجية على أحسن ما يرام.

ج ـ كف بكاء الطِّفل:

من الرحمة التي أنزلها الله في قلب رسول الله ﷺ أنه كان يصلي فيسمع بكاء الأطفال ، فيتجوز في الصلاة ويقول: " إني أدخل في الصلاة فأريد أن أطيلها فأسمع بكاء الطِفل فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه " [1].

ومن الضرورة بمكان أن يتعرف الوالدان والمحيطون بالطِفل على أحواله، لماذا يبكي ؟ هل من الألم ، أو الجوع ، أو الخوف أو البرد ، أو الحرارة ، وهذه من الحالات التي تتطلب منهم الاستجابة له بسرعة حتى يتوقف عن البكاء.

وقد يرتبط البكاء برغبات الطِفل وأهوائه ، أو إحباطه في هذه الحالة يجب ملاعبته مؤقتاً حتى يكف عن البكاء ، ويرى بعض علماء النفس أنه يجب تجاهله ، لكن الاستجابة أو عدمها مرتبطان بتقدير المحيطين بالطِفل ، وعمره فإذا كان الطِفل في شهوره الأولى فقد تكون طول فترة البكاء ضارة به ؛ لأنها قد تؤثر في حباله الصوتية أو الغشاء المخاطي للأنف الذي يجعله أكثر حساسية للبكتريا الضارة ، أما البكاء الطبعي فهو: مفيد في تقوية عضلات الصدر والرئتين.

ولا يزال الترجيز خير دواء لكف الطِفل عن البكاء ، هذا إن لم يكن سبب البكاء الجوع والألم ، لاسيما بعد أن يتعلم بعض الحركات البدائية والقهقهة ، ويلتحم الرباط بين نفسية الطِفل ومرقصه وتصبح هذه الترقيصات جزء اً من لغته.

د ـ هدهدة الطِفل وتنويمه:

(1) محمد بن فتوح الحميدي(الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم)، تحقيق: علي بن حسين ، دار ابن حزم، لبنان ، بيروت، ط2 ، 2002م ، ج 1 ، ص 283.

الطِّفل في حاجة إلى النوم الهادئ ؛ لذلك يجب على الآباء أن يكونوا أكثر حرصاً على أن ينام الطِّفل مسروراً ، وألا يرغمه الوالدان على النوم عن طريق تخويفه بالكلب أو الغول أو غيره ، ويجب عدم استخدام العنف والتهديد في ذلك ، بل لا بد من اللجوء لشيء من المرونة لتحديد ساعة نوم الطِّفل ، ولكن بتعويده على ذلك ومساعدته على النوم بانتظام مع الأخذ في الاعتبار مراعاة حالته النفسية.

أمَّا الأطفال في مرحلتي الصراخ والتقليد اللغوي ، فيستطيع الأهل أن يوفروا لهم نوماً هادئاً بكل سهولة إذا استطاعوا تحديد ساعة نومهم ، وذلك بمساعدتهم بالهدهدة المصحوبة بأغاني الترقيص التي تناسب الغرض؛ لأن الأصوات المتكررة والنغم الناعم الرتيب المصحوب بالهزات اللطيفة للطِّفل بين الزراعين أو السرير تساعد الطِّفل على النوم.

هـ _ التدريب على المشي:

الطِّفل يولد لا حول له ولا قوة ، ثم يأخذ في النمو فيستطيع الجلوس ثم الحبو ، ثم المشي ، وفي كل ذلك كبد ، فاستخدام الأراجيز من قبل المحيطين به أثناء عملية التدريب على المشي قد يساعد في تسريع التعلم ويشجعه على ذلك ، وهذه العملية تسمى في العامية السودانية (بالتاتاي).

وقد مرَّ رسول اللهﷺ بامرأة ترقص صبيها ، ويبدوا أنها كانت تعلمه المشي وتقول[1]:

يمشـــــي النَّطـــــا ويجلـــــس الهبنقعـــــة

قال ابن قتيبة: النَّطا: إفراط الحمق وأرادت أنه يمشي مشي الحمقى. وقالت

(1) الزمخشري (الفائق في غريب الحديث) ، دار المعرفة ، لبنان ، ط2 ، ج 2 ، ص 3.

بعض نساء العرب وهي ترقص ابنها في هذه المرحلة[1]:

قـــم قائمـــاً قـــم قائمـــاً لقيـــت عبـــداً نائمـــاً

*

ويتضح من ذلك أن للترجيز فوائد مهمة يقدمها للطفل ولوالديه على نحو ما أوردنا من إدخال السرور في نفسية الطِّفل ووالديه ، وهدهدته ، وكف بكائه ، وتعليمه على المشي. وعلى ضوء ذلك فإن هذه الأراجيز تكسب الأم على وجه الخصوص الاستقرار والهدوء حين تنشدها وتبقى في نفسها حالات من الاعتدال ، وتحفظها من الانفعالات الحادة نحو الطِّفل ، فيستجيب لها ويتفاعل معها.

النتائج:

تناول الباحث موضوع(ترجيز الأطفال في مرحلتي الصراخ والتقليد اللغوي) في مقدمة وأربعة مباحث ، تناول في هذه المباحث: مفهوم الرجز وترجيز الأطفال ، وأنواع أراجيز ترجيز الأطفال ، وأغراض ترجيز الطفل، وفوائده وسماته. وإنتهى به البحث إلى النتائج التالية:

1. أن ترجيز الطِّفل أخذ مصطلحات متعددة ، كالتزفين ، والزهزهة ، والنزنزة ، والبأبأة ، والزقرقة ، والتنقيز ، وكلها تدور حول ترقيص الطِّفل على إيقاع من إيقاعات الغناء أو الشِّعر فما وافق منها إيقاع الرجز فهو من الأراجيز.
2. أرَّخ الباحث لأراجيز الأمهات والآباء في الجاهلية والإسلام ، فوجد أن عنصر التفاخر والتباهي والاعتداد بالانتماء القبلي وما يتصل به من صفات

(1) ابن جني (الخصائص) ، تحقيق: محمد علي النجار ، عالم الكتب ، لبنان ، بيروت ، ج 3 ، ص 103.
في رواية ورد البيت على النحو التالي:
قم قائماً قم قائماً إنك لا ترجع إلا سالماً

الحسب والنسب هو الغالب عليها ، بالإضافة إلى التفاؤل بمستقبل الأبناء والبنات والثقة بغدهم.

3. وقد أظهرت الدراسة مدى الاهتمام المتعاظم الذي كان يجده الطِّفل من الآباء البررة في الجاهلية والإسلام ، من ترجيزه بالأدعية ، والنصح والإرشاد والتعبير عن حب الولد وغيرها من أغراض الأدب الإسلامي.
4. وأظهرت الدراسة أن الأراجيز المخصصة للطِّفل تتميز عن بقية الشعر العربي بعدة سمات: منها القصر ، والإيقاع المنتظم ، والتنغيم ، والترجيز الفرح ، ولها فوائد منها ما يتعلق بالطِّفل مثل إدخال السرور في نفسه ، وكفه عن البكاء ، وهدهدته ، وتدريبه على المشي ومنها ما يتعلق بالوالدين كإدخال السرور في نفسيهما.

التوصيات:

1. يوصي الباحث بدراسة القيم التربوية في أراجيز الأطفال.
2. العناية بالتأصيل و إدماج القيم التي أهملها الدارسون عند دراستهم لشعر الأطفال.ٍ